وثيقة رقم ٣

الدورة العادية التاسعة والخمسون – بكركي، ٩ – ١٣ تشرين الثاني ٢٠٢٦
59ème Session Ordinaire – Bkerké, 9 – 13 novembre 2026

كلمة صاحب السيادة المطران باولو بورجيا
السفير البابوي في لبنان

بمناسبة افتتاح الدورة العادية التاسعة والخمسين
لمجلس البطاركة والأساقفة الكاثوليك في لبنان

بكركي، ٩ تشرين الثاني ٢٠٢٦

صاحب الغبطة والنيافة البطريرك الكاردينال مار بشارة بطرس الراعي، بطريرك أنطاكية وسائر المشرق للموارنة، رئيس مجلس البطاركة والأساقفة الكاثوليك في لبنان،

أصحاب الغبطة البطاركة الكلّي الطوبى،

أصحاب السيادة المطارنة السامي احترامهم،

قدس الآباء والأخوات الراهبات،

أيها الإخوة والأخوات الأعزاء،

١. يسرّني أن أشارك مجددًا هذا العام في الاحتفال بافتتاح الدورة العادية التاسعة والخمسين لمجلس البطاركة والأساقفة الكاثوليك في لبنان. وأودّ، بدايةً، أن أنقل إليكم تحيات وبركة قداسة البابا لاون الرابع عشر، الذي يحمل في قلبه محبةً خاصة للكنيسة وللشعب اللبناني بأسره، ويُبقي في قلبه وصلواته الأوضاع الصعبة التي تمرّ بها المنطقة حاليًا، ولا سيّما هذا البلد.

٢. نلتقي اليوم بعد نحو عام على انعقاد الدورة السابقة للمجلس، وهو عام طبعته بصورة أساسية محطّتان كبيرتان: زيارة البابا لاون الرابع عشر، والحرب مع إسرائيل.

ولا تزال ذكرى الزيارة التاريخية التي قام بها البابا لاون الرابع عشر إلى لبنان، بعد مرور ما يقارب السنة عليها، تثير الكثير من التأثر ومشاعر السلام والطمأنينة، شبيهةً بتلك التي غمرت قلوب كثير من اللبنانيين، وأوجدت ذلك المناخ الاستثنائي الذي ميّز الأيام الثلاثة التي أمضاها البابا في أرض الأرز.

وأعتقد أنّ هذا الشعور بالطمأنينة، مقرونًا بالكلمات التي وجّهها إلينا الأب الأقدس، قد ساعد لاحقًا كثيرين على الصمود ، ومكّنهم من مواجهة المرحلة القاسية من الحرب التي أعقبت الزيارة.

٣. عندما اختار الأب الأقدس أن يبدأ رحلاته الرسولية من الشرق الأوسط، فقد انطلق من جديد من الأرض التي وُلدت فيها الكنيسة، وحيث تأصلت جذورها الأولى، ومنها بدأ التلاميذ رسالتهم التبشيرية بإعلان بشرى إنجيل الخلاص والمحبة والسلام الآتي من الرب.

وبكلماته وحضوره، ثبّتنا الأب الأقدس في الإيمان والرجاء والمحبة، ودعانا إلى مواصلة العمل اي ان نكون صانعي سلام على هذه الأرض التي شهدت، عبر القرون، انقسامات وصراعات كثيرة، ولا تزال ترتوي بدماء أبنائها ودموعهم.

لقد أوكل إلينا الأب الأقدس رسالة مواصلة العمل من أجل السلام هنا، حيث السلام «أكثر بكثير من مجرّد كلمة... إنّه رغبة ودعوة، وعطية وورشة عمل مفتوحة على الدوام» (١). وإنّ الأحداث التي تعاقبت منذ شهر آذار الماضي تُظهر لنا مدى هشاشة السلام، هنا وفي المنطقة بأسرها، وحجم العمل الذي لا يزال مطلوبًا لتحقيقه.

٤. منذ بداية حبريته، وضع البابا لاون الرابع عشر تعزيز السلام في صميم رسالته، ونحن ندرك اليوم مدى حاجة العالم الملحّة إلى السلام وأهميته البالغة.

فالسلام هو الشرط الذي يحتضن سائر الخيرات المنشودة ويهيّئ الظروف لتحقيقها. وهو ليس مجرّد اتفاق أو معاهدة تتيح للناس أن يعيشوا في هدوء، ولا يمكن اختزال معناه في غياب الحرب فحسب.

فبحسب جذوره اللغوية في اللغات السامية، ومنها العربية، يشير السلام إلى الكمال والسلامة والاكتمال، وإلى العمل على إعادة ما تشوه إلى حالته السليمة. إنّه حالة الإنسان الذي يعيش في انسجام مع الله، ومع ذاته، ومع قريبه، ومع الطبيعة (٢).

السلام بركة، وتمنٍّ بتحقّق واقع منشود. وهو خير مرغوب إلى حدّ أنّه أصبح في الشرق الأوسط تحيةً يتبادلها الجميع، كما في التعابير العربية الشائعة: «مع السلامة»، و«السلام عليكم»، و«السلام معكم».

٥. ومع أنّ السلام هو أثمن خير يمكن أن يتوق إليه الإنسان، فإنّ النظر إلى أوضاع العالم اليوم، ولا سيّما إلى واقع شرقنا الأوسط، يجعلنا ندرك مدى صعوبة بلوغه.

فعلى المستوى العالمي، بلغ عدد النزاعات الداخلية والخارجية أعلى مستوياته منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، في حين تراجعت نسبة الحلول الإيجابية إلى أدنى مستوياتها. كما أنّ النزاعات تزداد وتاخذ طابعًا دوليًا، ما يجعل التوصّل إلى حلول إيجابية أكثر صعوبة.

وفي الوقت عينه، تتزايد النفقات المخصّصة للتسلّح، فيما تتراجع باستمرار الموارد الموجّهة إلى الوقاية من النزاعات وترسيخ السلام (٣).

لقد عادت الحرب لتصبح خيارًا رائجًا، ويبعث على القلق ضعف العمل المتعدّد الأطراف وتراجع الدبلوماسية القائمة على الحوار والسعي إلى توافق الجميع، لتحلّ محلّها دبلوماسية القوة التي يمارسها أفراد أو مجموعات من الحلفاء (٤).

وفي كثير من الأحيان، لم يعد السلام يُطلب بوصفه عطيةً وخيرًا مرغوبًا في ذاته، وفي إطار السعي إلى نظام أسمى يقوم على عدالة أكثر كمالًا بين البشر، بل بات يُطلب بقوة السلاح، وسيلةً لفرض الهيمنة الخاصة. وهذا الأمر يقوّض بصورة خطيرة سيادة القانون، التي تشكّل أساس كل تعايش مدني سلمي.

٦. لهذا السبب، يصبح الحديث عن السلام، بل حتى الإيمان بإمكان تحقيقه، أمرًا صعبًا في كثير من الأحيان.

فكثيرون يعتبرون السلام حلمًا أو وهما يستحيل تحقيقه، ويرون أنّ الكلام عنه ليس سوى خطاب بلاغي لا جدوى منه. ويشعر كثيرون بعجز كبير أمام مجرى الأحداث، فيفقدون الرجاء، ويستسلمون للإحباط، ويغرقون في ظلمات القلق والخوف من المجهول.

ومع ذلك، فإنّ السلام ليس حلمًا مستحيلًا، ولا يمكن أن تكون البشرية محكومة بالعيش إلى الأبد في ظلمات الكراهية والعنف.

فالسلام موجود، وكما يقول القديس أغسطينوس، إنّه يريد أن يسكن فينا، ويمتلك قدرةً لطيفة على إنارة العقل وتوسيعه، وهو يقاوم العنف وينتصر عليه (٥). فالسلام يسكن أولًا في قلوب الذين يستقبلونه، ويحيا في الذين يمارسونه.

لذلك، لا نتوقّفنّ أبدًا عن ذكر السلام، والحديث عنه، والتفكير فيه، والبحث عنه، والرغبة في تحقيقه. ولنسمح له بأن يتغلغل في أفكارنا وحياتنا، حتى يصبح رفيقًا أمينًا لمسيرتنا.

وحتى عندما يتعرّض للمقاومة في داخلنا ومن حولنا، كالشعلة الصغيرة المهدّدة بالعاصفة، فلنحرص على حمايته. هذه هي الرسالة الأساسية للكنيسة: أن تعيش السلام، وأن تعلنه، وألّا تعتاد الحرب والعنف، وألّا تستسلم لتجربة النسيان.

لقد كان القديس أغسطينوس يحثّ معاصريه على نسج صداقة راسخة لا تنفصم مع السلام، لكي يحفظوه في أعماق نفوسهم، ويشعّوا من حولهم دفء نوره.

وقد كتب قائلًا: «إذا أردتم أن تجذبوا الآخرين إلى السلام، فكونوا أنتم أوّل من يمتلكه؛ وكونوا قبل كل شيء راسخين فيه. ولكي تُشعلوا الآخرين، ينبغي أن تكون الشعلة متّقدة في داخلكم» (٦).

٧. ينبغي لنا جميعًا، وأنا أوّلكم، أن نتساءل عمّا إذا كان السلام يسود قلوبنا وبيوتنا وجماعاتنا، وعمّا إذا كنّا قد تحرّرنا من قيود الحقد والكراهية.

وهذا ليس أمرًا سهلًا دائمًا، لأنّ السلام يتطلّب عملًا متواصلًا لتغيير الذهنيات، على المستويين الشخصي والجماعي، وارتدادًا دائمًا للقلوب، يتيح لنا إلقاء السلاح واستئصال العنف والكراهية من ذواتنا ومحيطنا، ومن الحياة السياسية والثقافة والتربية.

هذا ما يسمّيه الأب الأقدس «السلام الأعزل»، أي السلام الذي يولد من قرار واعٍ وراسخ بالتخلّي عن السلاح، أيًا كان نوعه، في سبيل خير أسمى وأكثر أهمية من منطق الأنانية والمواجهة والهيمنة، الذي يتّسع للأسف يومًا بعد يوم، وتزداد خطورته.

ومن جهة أخرى، لا بدّ أيضًا من تغيير أسلوب العمل، فنبحث بعزم عمّا يجمع بدلًا ممّا يفرّق، وعمّا هو إيجابي ومقبول لدى الآخر، وذلك من خلال اللقاء والحوار، من أجل عيش التضامن والمشاركة.

وهذا ما يسمّيه البابا لاون الرابع عشر «السلام الذي ينزع السلاح»، أي السلام القادر على انتزاع السلاح من أيدي الأعداء بقوة الخير المقنعة والفاعلة، وبقوة اللقاء والحوار والمحبة (٧).

٨. وفي ما يتعلّق تحديدًا بشرقنا الأوسط العزيز، وكما ذكّر البابا لاون الرابع عشر خلال زيارته الأخيرة إلى لبنان، لا بدّ من اعتماد مواقف جديدة، ورفض منطق العنف والانتقام، وتجاوز الانقسامات بين الشعوب والأمم، وفتح صفحات جديدة عنوانها المصالحة والسلام.

لقد سلكنا طويلًا طريق العداء المتبادل والحرب، وكانت نتائجه المؤسفة واضحة للجميع. لقد آن الأوان لتغيير الاتجاه، ولتربية القلوب والعقول على السلام (٨).

وينبغي أن يشمل ذلك جميع المستويات، الصغيرة والكبيرة، الشخصية والجماعية، وبين الجماعات، وكذلك السياسية والاجتماعية، لأنّ السلام يُبنى من خلال الأمور الصغيرة كما من خلال المبادرات الكبرى.

٩. من هنا تنبع مسؤولية كل واحد منّا في بناء السلام وتعزيزه والعمل على تحقيقه.

ومن هنا أيضًا تنبع المسؤولية الكبيرة الملقاة على عاتق الكنيسة في توجيه العمل السياسي نحو السلام، والمساهمة في بناء ثقافة السلام، والشهادة له وللتضامن الأخوي.

إنّ عنوان دورة المجلس لهذا العام هو: «نحو كنيسة متجدّدة في زمن الأزمات». فالأزمات تستدعي دائمًا التأمّل والتجدّد في حياة الكنيسة. وأعتقد أنّ مهمّتكم، بصفتكم رعاةً ورؤساء عامّين، هي تمييز علامات الزمن الحاضر، وتحديد الأهداف المستقبلية والوسائل الضرورية لبلوغها، بما يتيح تجاوز الواقع الراهن.

فالناس، في هذه المرحلة الصعبة، يحتاجون إلى من يرشدهم، وإلى من يدلّهم على الطريق ويُظهر لهم الهدف الذي ينبغي بلوغه. وأعتقد أنّ هذا هو ما يتطلّبه بناء مستقبل يسوده السلام في هذا البلد.

١٠. لا يمكن لأحد أن يبني السلام بمفرده، إذ يتطلّب ذلك دائمًا عملًا جماعيًا على مستويات مختلفة.

وتؤدّي الأديان دورًا حاسمًا في تربية القلوب والعقول على السلام، ويمكنها أن تكون مراكز فاعلة لتعزيز الاحترام والمصالحة والغفران.

وفي بلد كلبنان، حيث تعيش جماعات متعدّدة معًا، يكتسب العمل المشترك من أجل السلام أهميةً بالغة. فلقاءات التفكير والتأمّل، والمبادرات المشتركة من أجل السلام، ولا سيّما في مجال المحبة، يمكن أن تشكّل وسائل فعّالة في السعي إلى تحقيق السلام، وأن تقدّم قبل كل شيء شهادةً لحياة مشتركة تقوم على التضامن والاحترام والاستقبال المتبادل.

وكما قال البابا فرنسيس، فإنّ الطوائف والجماعات الدينية المختلفة مدعوّة إلى أن تكون «بيوتًا كبيرة للسلام»، يتعلّم فيها الإنسان أن يرى في الآخر أخًا له، أولًا في الإنسانية، وأن يعيش الحوار بما يبدّد العداوة، وأن يمارس العدالة وينمّي روح الغفران (٩).

وتشكّل العلاقات المسكونية والحوار بين الأديان أرضًا خصبةً للعمل معًا على تنمية السلام.

١١. تسهم التربية والبحث العلمي والثقافة إسهامًا مهمًا في خدمة السلام، كما يمكنها، للأسف، أن تسهم أيضًا في خدمة الحرب.

لهذا السبب، من المهم دعم المدارس والجامعات، ولا سيّما في زمن الحرب هذا. فهي أماكن للقاء والمشاركة، ومراكز يتعلّم فيها الإنسان أهمية الاحترام وجمال الأخوّة. وتُبذل في الوقت الراهن مبادرات عديدة لدعم المدرسة في لبنان.

وقد التزمت الرهبانيات الموجودة في المناطق المتضرّرة من الحرب إبقاء مدارسها مفتوحة مهما كلّف الأمر، كما يجري حاليًا تنسيق المساعدات على مستويات مختلفة لتأمين منح دراسية في جنوب لبنان.

وكما أُعلن خلال زيارة سينودس كنيسة الروم الملكيين الكاثوليك إلى الفاتيكان، فقد خصّص الأب

الأقدس بدوره مبلغًا ماليًا مهمًا لمساعدة العائلات المحتاجة على تحمّل الأقساط المدرسية والجامعية لأبنائها، سواء في المرحلتين الابتدائية والثانوية أو في التعليم الجامعي. ومن المؤكّد أنّ هذه المساهمة لن تتمكّن من تلبية جميع الحاجات القائمة، لكنها ستساعد العائلات المسيحية اللبنانية الأكثر عوزًا.

ونعمل حاليًا على تحديد معايير قبول الطلبات وآلية توزيع المساعدات، على أن يبدأ تنفيذ المشروع قريبًا.

وفي هذه المناسبة، أطلب من جميع الأبرشيات والرهبانيات التي تدير مدارس أن تواصل القيام بدورها، ولو من خلال الامتناع عن زيادة الأقساط المدرسية، كما أدعو القادرين منها إلى تقديم منح دراسية جزئية أو كاملة للأكثر حاجة، أو إلى الاستمرار في تقديمها. إنّ تنشئة رجال ونساء الغد هي أفضل استثمار يمكن القيام به.

١٢. أخيرًا، إنّ إحدى وسائل تعزيز السلام والأخوّة ومواجهة الآثار المدمّرة للحرب تكمن في عيش التضامن وممارسة المحبة. فالمحبة تساعد على تجاوز الأنانية واللامبالاة، وتوقظ الرحمة، وتتغلّب على انعدام الثقة وتبنيها، وتجعل اللقاء ممكنًا، وتنسج روابط صداقة أخوية راسخة ودائمة، وتزرع السلام في القلوب. المحبة تعزّي وتساند وترافق وتضمّد الجراح، وتمنح الإنسان القدرة على الاستمرار في الحياة.

إنّ الأزمة الاقتصادية المستمرّة منذ سنوات، والحرب التي اندلعت وما خلّفته من دمار في قرى عديدة واحتلال إسرائيل جزءًا من المنطقة الحدودية، ونزوح أعداد كبيرة من سكان الجنوب إلى مناطق أكثر أمانًا في البلاد، وما نتج عن ذلك من فقدان فرص العمل والمساكن، إضافةً إلى عزلة الذين تمكّنوا من البقاء في الجنوب، والصعوبات التي يواجهها المزارعون حاليًا في مزاولة أعمالهم، كلّها عوامل أدّت إلى معاناة إنسانية هائلة وحاجة ماسّة إلى المساعدة والدعم. والمطلوب ليس مساعدة مادية فحسب، بل دعم معنوي أيضًا، يساعد الناس على الصمود والبقاء في أرضهم ووطنهم، وعدم فقدان الرجاء.

لقد كنت، خلال الأشهر الماضية، شاهدًا على تضامن كبير أبدته مؤسسات وأفراد، من داخل الكنيسة وخارجها، في لبنان وفي الخارج. لكن لا يزال أمامنا الكثير لنقوم به.

وينبغي لكل واحد منّا، نحن الحاضرين هنا اليوم، أن يسأل نفسه: ماذا فعلتُ لدعم إخوتنا المحتاجين؟ جميع إخوتنا، لأنّ المحبة المسيحية لا تسأل عن الهوية أو الانتماء. وماذا يمكنني أن أفعل بعد، لكي أترجم ذلك إلى أعمال ملموسة؟

لقد تسلّمتم اليوم نداءً صادرًا عن القرى المسيحية في الجنوب، وهو نداء لا يجوز أن يبقى من دون جواب، بل يتطلّب منّا جميعًا تدخّلًا ومبادرات تضامن ملموسة.

وآمل أن تتمكّنوا، خلال هذه الأيام، من الإصغاء أيضًا إلى مطرانَي صور اللذين لم يتركا رعيّتهما لحظة واحدة، بشجاعة كبيرة وعناية رعوية صادقة، ومعهما الكهنة الذين لمستُ لدى بعضهم، في مناسبات عدّة، بطولةً حقيقية.

أصغوا إلى حاجاتهم، وأظهروا لهم، بصفتكم مجلس البطاركة والأساقفة الكاثوليك في لبنان، دعمكم السخي. لا أعتقد أنّه يمكنكم اختتام هذا اللقاء، الذي يجسّد شركة الكنيسة في لبنان، من دون القيام بمبادرة ملموسة تعبّر عن هذه الشركة!

إنّه واجب الكنيسة (١٠)

١٣. لقد تابع الأب الأقدس والكرسي الرسولي، حتى اليوم، باهتمام بالغ الأحداث الجارية في الجنوب، من خلال عمل دبلوماسي متواصل لدعم مطالب القرى. وقد أرسل البابا لاون الرابع عشر، في مناسبتين، شحنات من الأدوية وُزّعت على الجماعات المسيحية والإسلامية على حدّ سواء، بواسطة كاريتاس وقوات الأمم المتحدة المؤقتة في لبنان «اليونيفيل». كما موّل، من خلال دائرة خدمة المحبة، عددًا من المشاريع.

ومن جهتها، طلبت دائرة الكنائس الشرقية، ولا سيّما خلال اجتماع هيئة «رواكو» (ROACO) في حزيران، من المؤسسات الخيرية الكاثوليكية المختلفة زيادة دعمها للبنان. وقدّمت السفارة البابوية، بفضل التبرّعات التي جمعتها، مساعدات إنسانية طارئة.

١٤. وفي الختام، إذ أستودعكم الحماية الوالدية للعذراء مريم، سيدة لبنان، أتمنّى أن تكون أيام التأمّل هذه مثمرةً لما فيه خير الكنيسة في لبنان والوطن بأسره.

المراجع

(١) البابا لاون الرابع عشر، كلمة خلال اللقاء مع السلطات وممثّلي المجتمع المدني والسلك الدبلوماسي، القصر الجمهوري في بعبدا، ٣٠ تشرين الثاني ٢٠٢٥.

(٢) البابا بندكتس السادس عشر، الإرشاد الرسولي ما بعد السينودس «الكنيسة في الشرق الأوسط»، العدد ٩، سنة ٢٠١٢.

(٣) مؤشر السلام العالمي، ٢٠٢٥.

(٤) البابا لاون الرابع عشر، خطاب إلى أعضاء السلك الدبلوماسي المعتمد لدى الكرسي الرسولي، الفاتيكان، ٩ كانون الثاني ٢٠٢٦.

(٥) القديس أغسطينوس، العظة ٣٥٧، الفقرة ٣.

(٦) القديس أغسطينوس، العظة ٣٥٧، الفقرة ٣.

(٧) البابا لاون الرابع عشر، رسالة اليوم العالمي للسلام، ١ كانون الثاني ٢٠٢٦.

(٨) البابا لاون الرابع عشر، العظة خلال القداس الإلهي في واجهة بيروت البحرية، ٢ كانون الأول ٢٠٢٥.

(٩) البابا فرنسيس وشيخ الأزهر أحمد الطيب، «وثيقة الأخوّة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك»، أبوظبي، ٢٠١٩.

(١٠) القديس بولس الرسول، الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس، ٨: ١–١٤

* * * * * *